



اسم الدرس : وقفات مع سورة المدثر | الآيات (٣٨ : ٥٦)

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصَّح الأمة، فما تَرَكَ خيرًا إلا ودلنا عليه وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢]

أما بعد أحبتي في الله:

من رحمة الله عز وجل بعباده أنه لم يتركهم سُدى، ولكن بكرمه ورحمته وفضله وجوده أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب ليكونوا على بينة من أمرهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، واصطفى الله -عز وجل- لهذه الأمة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- خير الرسل وخير الناس -صلى الله عليه وسلم-، واصطفى لها من كلامه القرآن الكريم خير الكتب ومهيمنًا عليها. نسأل الله -عز وجل- أن يعيننا على شكر هذه النعمة باتباع كتابه واتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

### الهدف من خلق الإنسان وموقف أهل الإيمان

خلق الله -عز وجل- الخلق ليعبدوه لهذه الغاية التي قال ربنا -سبحانه وتعالى- عنها: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: ٥٦]. خلق الله -عز وجل- الخلق لعبادته، ولكن هناك صوارف تصرف الناس عن هذه الغاية، وفئتُ تصرف الناس عن هذه الغاية، تلهيهم وتشغلهم عن هذه الغاية؛ من الشياطين -شياطين الإنس والجن-، ومن النفس والهوى والشهوات والشبهات.

لكن أهل الإيمان الذين يلجؤون إلى الله -عز وجل- ويتضرعون إليه، ويعلمون أنه -سبحانه وتعالى- هو الذي يملك الهداية ويقلب القلوب -سبحانه وتعالى-، فيكشرون من دعائه ويتضرعون إليه ويلجؤون

إليه، ويتمسكون به، ويعلمون مدى رحمته وفضله وجوده وكرمه فيسيرون على هذا الطريق، ويتمسكون ويستمسكون بكتابه ويتبعون سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

هؤلاء الذين كتب الله - عز وجل - لهم النجاة، ساروا في طريق الله ففوجئوا بمدى يسر شريعته - سبحانه وتعالى - ومدى رحمته في معاملته، ومدى لطفه - سبحانه وتعالى - في معاملته لأوليائه، فانبهروا بذلك، ويتعجبون يوم القيامة من أن هناك أناسًا كانوا معهم في الدنيا ولكنهم دخلوا جهنم والعياذ بالله.

فيتعجبون يوم القيامة ويتساءلون لأن قلوبهم رحيمة بالخلق! فيتساءلون يوم القيامة بالرغم من أنهم دخلوا إلى الجنات - نسأل الله عز وجل أن نكون من أهل الجنة - بعد أن دخلوا إلى الجنة يتساءلون { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } [المدثر: ٤٢]، يتعجبون، كيف وصلتكم إلى هذا الطريق الضيق الوعر؟!

### طريق سقر وموقف الدعاة تجاهه

{ مَا سَلَكَكُمْ } السلك: هو السير، وكأن الانسان يسير في طريق وعر ضيق، كأن الانسان يمر من ثقب إبرة، أن يسير الإنسان في مسار وطريق ضيق فقالوا { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } ما الذي جاء بكم إلى هنا؟ وسنعلم بإذن الله - عز وجل - ما معنى كلمة { سقر }، هي اسم من أسماء جهنم لكن ماذا تعنيه من شدة العذاب؟ والعياذ بالله.

فيتعجبون ويتساءلون، هكذا ينبغي على الدعاة إلى الله - عز وجل - وعلى كل مؤمن في قلبه رحمة بالناس أن يتساءل ما الذي يجعل الناس يذهبون إلى جهنم باختيارهم وإرادتهم والعياذ بالله؟!

يتعجب هل يبحثون عن رحيم غير الله؟! " { فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [الصفات: ٨٧] ما ظن هؤلاء، بالله - سبحانه وتعالى - حتى اختاروا أن يسيروا في طريق غير طريقه، فكما أن لكل طريق ضال شيطان يدعو الناس إلى السير في هذا الطريق، كذلك ينبغي على المؤمنين وعلى الدعاة إلى الله - عز وجل - خاصة أن يتساءلوا ما الذي يجعل الناس ينصرفون عن طريق الله - عز وجل - ؟ لذلك جاء هذا السؤال { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } جاء في سورة المدثر التي تدعو الدعاة إلى الله - عز وجل - أن يتركوا النوم، وأن يتركوا الرفاهية، وأن يقوموا لدعوة الناس لينقذوهم بإذن الله - عز وجل - وبفضله من جهنم.

قال ربنا - سبحانه وتعالى - في أول هذه السورة { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } [المدثر: ١-٤]، ابتعد عن كل شيء يُسيء إلى سمعتك، يسيء إلى أقوالك وأفعالك، فاهجر

ذلك حتى يقتنع الناس بأقوالك. { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } [المدثر: ٤-٧]

هذا الطريق أيها الداع إلى الله -عز وجل- مليء بالصعوبات وبالإعراض من الناس، بل وبالإيذاء والسخرية منك ومن سار في هذا الطريق أي طريق الدعوة إلى الله -عز وجل-، فقال الله -عز وجل-: { وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ }، ثم يخبر الله -عز وجل- الداعية إلى الله أنه ينبغي عليه أن يقوم وأن يسارع إلى دعوة الناس، لماذا؟

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ \* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر: ٨-١٠] هذا هو الذي يحرك الداعية إلى الله، هو الذي يحرك كل مؤمن للدعوة إلى دين الله -عز وجل-، يريد أن ينقذ الناس من هذا اليوم العسير { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ \* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ }.

إذا أحبتي في الله ينبغي على كل مؤمن أن ينظر إلى العاصي بعين الشفقة والرحمة، لأنه يسير في طريق ينتهي به إلى يوم عسير، { .. يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } [الإنسان: ٢٧]، أي: ثقیلاً من كثرة الذنوب التي يحملونها على ظهورهم والعياذ بالله.

فيقول الله -عز وجل- لهذا الداعية ولكل من أراد أن يسير على طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- شفقة بالناس ورحمة بهم أن يتحرك مسرعاً، وأن يترك الشواغل وأن يقوم ليدعو الناس إلى الله -عز وجل- { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ \* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ }.

ثم يخبر الله -عز وجل- النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويخبر كل داعية إلى الله، ويخبر كل مؤمن أراد أن يهدي الناس وأن يكون سبباً في هدايتهم، اعلم أن كثيراً من الذين ابتعدوا عن الله عز وجل، ابتعدوا بسبب فتنة الدنيا، بسبب فتنة المال والولد، { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا \* وَبَنِينَ شُهُودًا \* وَمَهَدْتُ لَهُ نَمِيمًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } [المدثر: ١١-١٥]، يعطيه الله -عز وجل- من النعم فلا يزداد بهذه النعم إلا إعراضاً وبعداً عن الله -عز وجل-، فيعطيه الله -عز وجل- ويغدق عليه من النعم فلا يزداد إلا إعراضاً وبعداً عن دين الله -عز وجل-.

فيقول الله -عز وجل- { ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا ۗ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } [المدثر: ١٥-١٦] هذا في أول وصف في البعد عن دين الله -عز وجل- إنه العند مع آيات الله -عز وجل-، الآيات تكون

واضحة، يموت أقرب الناس إليه بدون سبب وفجأة، يرى من الابتلاءات التي تنزل على الناس تترا بسبب ذنوبهم، يرى آيات الله -عز وجل- في الكون من زلازل وحسف وبراكين وبالرغم من ذلك يُعرض، يقع في ضائقة ثم يلجأ إلى الله -عز وجل- ويفرج الله -عز وجل- كربه، ثم يُعرض عن الله، يرى آيات الله في نفسه، وحوله، وفي الكون، وفي كل مكان، ولا يزداد إلا عندًا وبعُدًا { **إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا** التي يسمعها تقرع سمعه وتَهز قلبه، وتصل إلى أعماقه وبالرغم من ذلك هو عنيد مع هذه الآيات { **إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا** .. يعلم أن هذا الكلام كلام الله -عز وجل- القرآن، يعلم أنه ليس بقول البشر، وأن هذا من عند الله، وأن هذا القرآن قول ثقيل أنزله الله -عز وجل- ليغير الأرض وبالرغم من ذلك هو عنيد مع آيات الله { **إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا** }، إن من الناس من تلبس بهذا الوصف والعياذ بالله، بالرغم من كل الآيات التي يراها إلا أنه يستمر في عنده ويفجر في طريقه، في سيره بعيدًا عن الله -عز وجل- { **إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا** }

فيقول الله -عز وجل- هو يطلب المزيد من الدنيا؟ { **سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا** } [المدثر: ١٧] سأزيد له في العذاب، سأجعل كل لحظة تمر عليه في قبره وفي جهنم زيادة في العذاب، لأنه كان يزداد إعراضًا وبعُدًا فسأزيد له في العذاب، { **فَدُوقُوا قَلْبًا نَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا** } [النبي: ٣٠] يزداد عليهم العذاب في جهنم والعياذ بالله.

{ **سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا \* إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** } [المدثر: ١٧-١٨] لما سمع القرآن أو مرّ بلحظات مرض أو لحظات ضعف أو لما رأى آية من آيات الله عز وجل أو مات أحد أقاربه، ظل يفكر هل أسير في هذا الطريق؟ هل أستمع إلى الدعوة إلى الله فعلاً؟ هل أغير حياتي؟ فظل يفكر ويقدر الأمور في ذهنه.. هل أترك المعاصي؟ هل أغير من حياتي؟ { **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** } [المدثر: ١٨-٢٠] هكذا الإنسان الذي يطيل في فترة تفكيره في سيره إلى الله... هل أسير أم أبتعد؟ هل أسير في طريقي إلى الله عز وجل؟ أو أعرض؟ هل أوجل أو أؤخر؟ الإنسان إذا ظل يفكر طويلاً، هل يختار الطاعة أو المعصية غالبًا سيختار المعصية!

من مظاهر المراوغة عن الحق وعاقبتها

الإنسان المتردد غالبًا ما يستقط والعياذ بالله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله عز وجل يحب التَّوَدُّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ)**<sup>١</sup> إن الله عز وجل يحب التَّوَدُّةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، ينبغي على المسلم أن يسارع في طاعة الله، بل من أوصاف المؤمنين **{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ }** **[الأنبياء: ٩٠]**، كلما سمعوا خيراً ذهبوا إليه مسرعين حتى لا يفوتهم هذا الخير. فيخبر الله عز وجل أن هذا العناد من أسباب دخول هذا العنيد إلى جهنم والعياذ بالله، هذا العنيد الذي كلما سمع أو رأى آية من آيات الله أثرت فيه يفكر ولا ينطلق؛ ويظل يفكر كيف سيرد على هذه الآية، كيف سيراوغ نفسه ويراوغ الناس للبعد عن طريق الله عز وجل، أخبرنا الله عز وجل أنه ظل يفكر كثيراً **{ فُقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** **[المدثر: ١٩-٢٥]**.

الإنسان الذي يعرض عن الله عز وجل يحاول دائماً أن ينسب هذه الآيات إلى البشر، تقول له: تأمل ماذا فعل الله تعالى للناس بسبب الذنوب! يقول لك كلا! هذا ليس بسبب الذنوب، هذا بسبب التغيرات الجوية وهو أمر طبيعي.. تقول له: تأمل كيف عاقب الله عز وجل فلاناً بسبب معصيته! يقول لك كلا هذا ليس بسبب المعصية، هذا أمر طبيعي وقد مسّ آباءنا الضراء والسراء إنه أمر عادي ومتغيرات تحصل لكل الناس.. لا يريد أن ينسب الآيات إلى الله سبحانه وتعالى.

هكذا الناس وهكذا العصاة يريدون أن ينسبوا كل شيء إلى البشر وإلى الأسباب لا إلى الملك سبحانه وتعالى **{ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا }** **[يونس: ٢١]**؛ فإذا رأوا الآيات أعرضوا عنها وحاولوا أن ينسبوا هذه الآيات إلى البشر وليس إلى تدبير الملك سبحانه وتعالى **{ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** انظر كيف أن هذا الرجل استغل عقله وفكره وتفكيره وتدبيره في صرف الناس عن آيات الله، وفي صرف نفسه عن دين الله عز وجل! لم يفكر كيف يطيع الله عز وجل، لم يفكر كيف يستغل هذه القدرات وهذه المواهب لنصرة دين الله عز وجل، ولكنه سخّر كل الطاقات وكل التفكير والتدبير

<sup>١</sup> [عن سعد بن أبي وقاص:] عن أبيه قال الأعمش راويه: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ. الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح أبي داود ٤٨١٠ • صحيح

والمواهب لصرف نفسه ولصرف الناس عن دين الله عز وجل.. فقال الله عز وجل: **{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}**

**[المدثر: ٢٦]**. **{سَأُصْلِيهِ}** أي: سيدخلها ويعاني من حرها ولا يمر عليها مرورًا فقط، لا؛ أبدًا!

سيدخلها ويعانيها ويقاسي شدتها!

**{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ \* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ \* لَوَاحِئُهُ لِّلْبَشْرِ \* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}** **[المدثر:**

**٢٦-٣٠]** تُقَطَّعُ البَشْرَةُ وتنزع الكفار والفساق والمنافقين والعياذ بالله.. **{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}** أي عليها

ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

**الصنف الأول من الناس:** هم المعرضون، حينما يسمعون آيات الله يعرضون ويفكرون كيف يصرفون

الناس عن دين الله عز وجل.

**الصنف الثاني:** المستهزئون، حينما يَسْمَعُ آيات الله عز وجل يستهزئ ويهيم في السخرية على كل من

سار في طريق الله عز وجل، ذكر الله عز وجل في هذه الآيات نموذجًا وهو أبو جهل الذي سخر من

كلمة **{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}** وظل يستهزئ وقال: إن كانوا تسعة عشر فأنا أكفيكم هؤلاء التسعة

عشر!! ثم قال ربنا سبحانه وتعالى بعد آيات **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشْرِ}**

**[المدثر: ٣١]** هذه النار ذكرها الله عز وجل في كتابه تذكرة للناس حتى يعودوا إلى رشدهم ويسيروا في

طريقهم إلى الملك سبحانه وتعالى **{وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشْرِ}**

## انجلاء الحق

ثم يقول الله عز وجل: **{كَأَلَّا وَالْقَمَرَ}** **[المدثر: ٣٢]** يقسم الله عز وجل بهذه اللحظات التي ينجلي فيها

الظلام، وينقشع فيها الضلال، ويأتي فيها النور، ويرى الناس الأشياء على حقيقتها؛ فحينما يذهب

الظلام ويمر الليل، وتظهر الشمس ويأتي الصباح، يرى الناس الأشياء على حقيقتها؛ يعلمون المصلح من

المفسد، يميزون الحلال من الحرام.

فيقول الله عز وجل: **{كَأَلَّا وَالْقَمَرَ \* وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ \* وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ}** **[المدثر: ٣٢-٣٤]** مثلما أن

هناك لحظات دنيوية يرى فيها الناس الأشياء على حقيقتها، كذلك سوف تأت لحظات يوم القيامة يعلم

الناس مدى تفريطهم في حق الله عز وجل، يعلمون الحلال من الحرام، يعلمون مدى تفريطهم في جنب

الملك سبحانه وتعالى، ويندمون ويتحسرون ولكن ولات حين مندم.

يقول الله عز وجل: **{ إِنَّهَا } - أي: سقر- { إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى }** [المدثر: ٣٥] كيف تسخرون من جهنم؟! كيف تُعرضون عن ذكرها؟! وهي إحدى الكبرى العظيمة التي ينبغي أن تتوقف حياة الإنسان عند سماعها وعند ذكرها وأن يتجنبها ويتعد عنها ويخاف منها، **{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى }** أي القضايا الكبيرة التي تم كل مؤمن.

**{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ }** [الزمر: ٩] يصلي طول الليل وهو خائف من جهنم، يدعون ربهم ويتضرعون خوفًا من جهنم.

**{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى }** قضية جهنم قضية كبيرة في حياة المؤمن!

يخاف منها ويتعد عنها ويتضرع إلى الله عز وجل أن ينجيه منها..

**{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى }** حينما يستهزئ المستهزون بجهنم ينبغي على الدعاة أن يعظّموا جهنم.. حينما سخر أبو جهل من جهنم وسخر منها المشركون وأعرضوا عنها، نزلت هذه الآيات لتوضح قيمة العذاب الأخروي، وأنه عند الله بمكان وأنه أمر عظيم. هكذا كلما سخر الفساق والمنافقون من شيء في دين الله وجب على الدعاة إلى الله عز وجل خاصة وعلى المؤمنين عامة أن ينتفضوا لهذا الشيء ويعظّموه عند الناس، حتى يعلم الناس مدى قيمته عند الله عز وجل.

**{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى }** أمر عظيم، هل جهنم في حياتنا أمر عظيم؟ هل ذكر الدار الآخرة في حياتنا يشغل حيزًا ضخمًا؟ هل يمثل قضية كبيرة في حياة الناس؟ حينما يعود الإنسان إلى نفسه ويسأل، ماهي القضايا الكبيرة في حياتي؟ التي تشغل بالي، التي تسيطر على تفكيري، التي تحرك مشاعري؟ ما هي هذه القضايا؟ هل جهنم من بينها؟

**{ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى \* نَذِيرًا لِلْبَشَرِ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ }** قال جمهور المفسرين: أن يتقدم في طاعة الله أو يتأخر ويتعد عن طاعة الله عز وجل... وقال بعض أهل العلم: لمن شاء منكم أن يتقدم إلى النار... من أراد وكان جريئًا فليتقدم، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ويتعد عن النار **{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ }**



{ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر: ٣٨] كل عمل، كل معصية يفعلها الإنسان هي نوع من القيود يوثق الإنسان نفسه بها! { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } أي: المعاصي { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } أي: توثق وتُربط كالرهن. هذا الوثاق وهذه الأربطة والأغلال تزداد على الإنسان حتى يكفر والعياذ بالله فيصبح خالداً مخلداً في جهنم. { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } أي: مربوطة محبوسة في جهنم بسبب المعاصي والكفر؛ {إِلَّا أَصْحَابَ اليمين} وهم الذين أعتقوا رقابهم من هذه الأغلال، هم الذين أعتقوا رقابهم بطاعتهم للملك سبحانه وتعالى، بتوفيق منه سبحانه وتعالى {إِلَّا أَصْحَابَ اليمين} \* في جناتٍ .. } [المدثر: ٣٩-٤٠] أي ابتعدوا عن جهنم وفكوا هذه الأغلال وهذه الأوثاق وهذه الأربطة التي أوثقت المشركين في جهنم.

أهل الإيمان هؤلاء لما دخلوا الجنات، لم ينسوا أهل المعاصي الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وتعجبوا وقالوا { فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ \* عن المجرمين \* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } [المدثر: ٤٠-٤٢] ألم نخبركم؟ ألم نحذركم؟ يتعجبون..

حينما تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم عن كرم وفضل ورحمة الملك سبحانه وتعالى، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل الملك، أن من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عز وجل عنده حسنة كاملة، ثم من هَمَّ بحسنة وعملها كتبها الله عز وجل حسنة إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ويضاعف الله لمن يشاء، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة واحدة، ومن هَمَّ بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة.<sup>٢</sup>

أربع حالات تكون للإنسان؛ إما أنه يهَمُّ أو يعمل، يهَمُّ بسيئة أو بحسنة أو يعمل سيئة أو حسنة، ثلاث حالات منها يأخذ حسنات وفيهم حالة يُضاعف إلى سبعمائة ضعف إذا عملها، وفي السيئة حالة واحدة تكتب سيئة واحدة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذا الحديث: ولا يهلك على

<sup>٢</sup> [عن أبي هريرة:] مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٣٠ • [صحيح] •

الله **إلا هالك**،<sup>٣</sup> لا يستحق الخلود في جهنم إلا هالك، إلا الذي أوغل في المعاصي، لذلك قال بعض أهل العلم: "**إلا هالك**" قال السندي في شرحه لهذا الحديث: أي **إلا هالكًا** في المعاصي غارقًا في الشهوات، ماذا كان يفعل طوال حياته؟ كيف لا يوجد حسنات؟ كيف يهلك؟ فيتعجب أهل الإيمان بعدما رأوا من سعة رحمته وسعة مغفرته، بعدما رأوا كل هذا يتعجبون، كيف وصلتكم بعد كل هذه الرحمة وهذه المغفرة وهذا العفو وتبديل السيئات إلى حسنات كيف وصلتكم إلى سقر **{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ }**؟ لا يهلك على الله إلا هالك.

تستمر شفقتهم، تستمر شفقة الدعاة إلى الله معهم حتى بعدما دخلوا الجنة، يسألون عن الناس، يتعجبون، كانوا مشغولين بالناس، يريدون أن ينقذوهم من جهنم في الدنيا فكذلك استمر معهم هذا الانشغال في الآخرة... يسألون **{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ }**؟

### إعراض وخوض

فكانت الإجابة، انظر كيف يصل الإنسان إلى مرتبة من العند والاستهزاء، ذكرت السورة في البداية شخصًا عنيدًا وشخصًا مستهزئًا بالدين، شخصًا عنيدًا مع الآيات وشخصًا يسخر من الآيات، الإنسان لا يصل إلى هذه المرتبة دفعة واحدة ولكن ينزل في دركات -والعياذ بالله-، فقال ربنا -سبحانه وتعالى- ليبين لنا كيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة حتى نعلم كيف ينجو الإنسان من سقر، **{ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ }** [المدثر: ٤٣] أول شيء ابتعدنا عنه هو: هؤلاء -أهل الوجوه النيرة الذين يجتمعون في بيت من بيوت الله يؤدون فرائض الله- لم نكن منهم قط، لم نرتبط بهم ولم نكن معهم ولم نعاشرهم ولم نختلط بهم ولا نعلم طريقهم، **{ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ }** ولم يقل الله -عز وجل- (لم نكن) بل قال **{ لَمْ نَكُ }** أي لم نقرب منهم من الأساس، لم نخالط المصلين أبدًا ولم نكن يومًا من الأيام منهم ولم نعاشرهم ولا نعلم كيف يعيشون وكيف يفكرون وما هي همومهم ومم يخافون وماذا يرجون، لا نعلم شيئًا عنهم! **{ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ }**

<sup>٣</sup> [عن عبدالله بن عباس:] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعِيفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. وفي رواية: وزاد: وَمَحَاها اللَّهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ.

الصلاة التي فرضت في السماء في المعراج، وأول ما فُرِضَتْ كانت خمسين صلاة، وتخفيف الملك - سبحانه وتعالى - بعد شفاعة نبينا - صلى الله عليه وسلم - نزلت إلى خمس صلوات، وكأن الإنسان يحتاج في اليوم الواحد أن يقف بين يدي الملك يطلب منه الهداية خمسين مرة ويقول **{ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }**، من كثرة الشواغل والفتن والشهوات والشبهات يحتاج الإنسان على الأقل إلى خمس مرات ويحتاج إلى خمسين مرة حتى يصل إلى كمال الارتباط بالله، يحتاج أن يجدد العهد والطلب والخضوع بين يدي الملك وأن يقول **{ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }**، تخيل أنت محتاج من كثرة الشواغل أن تقطع حياتك وأن تقطع نومك وأن تبتعد عن الناس لتقف بين يدي الملك لتطلب منه الهداية، فما الصلاة إلا مجموعة في آيات الفاتحة، ولا صلاة بغير أم الكتاب، والفاتحة مجموعة في هذا الدعاء **{ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }** [الفاتحة: ٦-٧]، يفزع المؤمن أن يتشبه بأهل الضلال والمغضوب عليهم - والعياذ بالله - يفزع أن يكون منهم، فيجدد العهد والطلب والميثاق مع الله - عز وجل -، أقل عدد صلوات يحتاجه الإنسان هو خمس صلوات، هذا على الأقل، ولذلك شُرعت النوافل لتكتمل ما يحتاجه الإنسان، وكلما زاد بلاء الإنسان وزادت همومه ومشاغله ازداد احتياجه للصلاة، فكان صلى الله عليه وسلم كلما حزبه أمر فزع إلى الصلاة، كلما ازدادت عليك الهموم والمشاغل تحتاج إلى الصلاة، كيف عاشوا بدون صلاة؟! كيف استطاعوا أن يقاوموا الحياة؟! كيف استطاعوا أن يسيروا في ابتلاءات الدنيا بدون صلاة؟! **{ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ }**

ما قيمة رأسٍ لا تسجد؟!

لذلك رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في رؤيا أنه:

أتاه ملكان وقالوا له انطلق انطلق، فقام النبي صلى الله عليه وسلم - أي في الرؤيا معهم - فوجد رجلاً نائماً ووجد رجلاً آخر يمسك بصخرة ويرفع الصخرة ويدك بها رأس النائم! فتشدد رأسه ويتدحرج الصخر هاهنا، فيذهب الرجل القائم ليأت بالصخرة ليعود إلى الرجل النائم ليجد رأسه عاد مرة أخرى سليماً فيكسر رأسه مرة أخرى، فتعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال ما هذا؟ فقالوا له انطلق انطلق .. حتى تمت الرؤيا.. فقالوا له: أما هذا النائم فهو الذي ينام عن الصلاة المكتوبة، هو الذي ينام

<sup>٤</sup> [عن سمرة بن جندب:] كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَ ممَّا يقولُ لأصحابه: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قال: فينصُّ عليه من شاء الله أن ينصَّ، قال: وإنه قال لنا ذاتَ عَدَاةٍ: إنه أتاني الليلةَ آتيان، وإمَّها ابتعثاني، وإمَّها فالألي: انطلق، وإني انطلقتُ معها، وإنَّا أتينا على رجلٍ مُضطجعٍ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يهوي عليه بالصخرةِ لرأسه، فيتنلُّ بها رأسه، فيتنهدُّها الحجرُ هاهنا، فيسبغُ الحجرُ يأخذُه، فما

عن الصلاة المكتوبة.. ما قيمة رأس لا تصلي؟! لا بد أن تكسر! ما قيمة رأس ابتعدت عن السجود؟! لم تلتصق بالأرض خشية من الله؟ لا بد أن تكسر!

ف { **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** } هذا أول طريق الضلال، والتزام الصلاة أول طريق الهداية، والصلاة أول ما يحاسب عنه المرء، والصلاة أول الأركان العملية في الإسلام... أول ما تدعو نفسك والناس -بعد التوحيد- إلى الصلاة، (فليكن أول ما تدعوهم إليه...) كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ -أي بعد التوحيد- إلى الصلاة، فمن حافظ عليها وأداها وأقامها وأتقنها أبعده الله -عز وجل- وكانت له نورًا... فالصلاة نور للإنسان.. ف{ **قَالُوا** } أي في أول زيغهم وضلالهم وبيان قسوة قلوبهم وسبب عندهم { **لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** } .

هذه الرأس التي استغلها في أول شخصية في السورة أعرضت -قيل أنه (الوليد) أو غيره من المشركين- هذه الرأس استغلت المواهب والذكاء في التفكير كيف يصرف الناس عن دين الله عز وجل { **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** } { **المدثر: ١٨-١٩** } ثم الرأس الأخرى التي ذكرت في السورة الشخص الذي ظل يسخر ويستهزئ (أبو جهل)، ثم هذه الرأس التي أعرضت عن الصلاة.

فيقول الله -عز وجل- { **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ** } . قيل من معاني سقر: النار الشديدة أو الشمس الشديدة التي إذا سلطت على شيء أحرقت ما بداخله، أحرقت الجوف، النار عندما تذيب ما بداخل الشيء تسمى { **سقر** } ، فكأن من معانيها التي ذكرها أهل العلم أن الدماغ تذوب من الداخل، تخيل شدة هذه النار! هناك نار دُكِرَتْ أُنْهَا { **تَطَّلَعُ عَلَى الْأُفُقَةِ** } في سورة الهمزة لأن القلوب تعلقت بالمال في تلك السورة، أما في هذه السورة العقول أعرضت عن دين الله، أعرضت عن آيات الله، الرؤوس أعرضت عن السجود فاستحقت أن تتعرض لسقر لتذوب في جهنم، تخيل المشهد! مشهد النار يسَلِّطُ على الرأس! هذا من معاني سقر.. النار الشديدة التي تسلط على الإنسان العاصي -والعياذ بالله- والكاfer -نسأل الله السلامة- فتذيب ما بداخله.. فقالوا عن أول سبب للضلال " **لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** " .

يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال لي: انطلق انطلق، فانطلقت معها...

شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ)، تخرج المسند ٢٠٠٩٤ • إسناده صحيح على شرط الشيخين • أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٥٨)، وأحمد (٢٠٠٩٤) واللفظ له

أعرضوا عن علاقتهم بالناس **{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ}** لم يكن في قلوبنا رحمة وشفقة للمسكين **{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ}**.

لما أعرضوا عن الصلاة وابتعدوا عن أماكن النور وعن أماكن الهداية، وابتعدوا عن أهل الصلاة ولم يقتربوا منهم ولم يكونوا منهم، ثم قست قلوبهم بالبعد عن المساكين وعن إطعام المساكين، فقالوا **{وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}**، لما ابتعد عن الصلاة وقع في الشهوات، قال ربنا - سبحانه وتعالى - **{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ...}** [مریم: ٥٩] هكذا إذا ابتعد الإنسان عن الصلاة وقع في الشهوات **{وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** مع كل خائض في الدين نتكلم معه، إذا ظهر برنامج يسب البخاري نسب البخاري، إذا ظهر شخص يستهزئ بالدين نستهزئ بالدين، إذا ظهر أحد لا تعجبه سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ويستهزئ نستهزئ معه، مجلس فيه سخرية من أهل الدين يجلس معهم، فيه انتقاص من الصحابة يجلس معهم.. **{كُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** أي مجلس يجلس معهم.

الخوض في اللغة: أن يسير الإنسان في بركة، بركة أي ماء غير صافٍ، بركة راكدة، ويسير الإنسان لا يبصر مواقع القدم فهو لا يدري أين يسير، قد يسقط، قد يصيب قدمه أذى، قد يحدث له أي شيء، هذا هو الإنسان الذي يخوض، أي يجلس في مجالس لا يعلم قيمة هذا المجلس ومدى غضب الله - عز وجل - من هذا المجلس، يفعل أفعالاً كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - **(يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً)** ° هو بالنسبة له كان مجلساً عادياً استمتع فيه وجلسوا يمزحون ويسخرون وانتهى وانصرف ومرت عليهم أوقات الصلاة ويجلس، وهو لم يكن يدرك قيمة هذا المجلس أنه قد يهوي به في النار - والعياذ بالله -.

**{وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** لم يعد لديه مناعة، لم يعد بداخله شيء يمنعه، وازع الله في قلب كل مسلم.. هذا الوازع أماته هذا الإنسان بكثرة بعده عن الصلاة وبعده عن إطعام المساكين، **{وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}**، فبالتالي كانت النتيجة: **{وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}**، لم يعد هناك آخرة، لماذا يريد الآخرة؟! إنسان لا يصلي، ولا يطعم المساكين، وأي مجلس شهوات أو شبهات هو لا يبالي... لا يبالي

° [عن أبي هريرة: ] إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٧٨ • [صحيح] •

بأي مجلس يجلس فيه { وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ \* حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ } [المدثر: ٤٦-٤٧] أي حتى أتانا الموت! ظللنا هكذا لا نصلي، لا نطعم المساكين، نخوض مع الخائضين، نكذب بيوم الدين، لا نتدبر في آيات الله، كلما قُرئ علينا القرآن نكون من المعرضين { إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } نكون من الساخرين والعياذ بالله، فلما ابتعدوا { حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ } ظلوا في ريب وشك حتى رأوا اليقين وأيقنوا أن كلام الأنبياء حق، وأن كلام الله حق، وأن كلام الدعاة إلى الله حق، وأنهم كانوا يعرضون عن إحدى الكُبرى، وأنهم ضيعوا مصيرهم ودمروا مستقبلهم الأخرى.. أسأل الله عز وجل أن يعيدنا من جهنم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

يخبرنا الله عز وجل عن أمره للنبي صلى الله عليه وسلم وللدعاة إلى الله أن يقوموا وأن يتركوا الشواغل، وأن يتركوا الرفاهية، وأن يتركوا النوم لدعوة الناس إلى دين الله عز وجل، فإن الأمر خطير، { فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ \* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر: ٨-١٠] رؤية هذا اليوم بتفاصيله، حينما يرى المؤمن بقلبه رأي العين هذا اليوم العظيم يخاف على نفسه ويخاف على الناس، فيتحرك مسرعًا لإنقاذ الناس من جهنم، فيخبرنا الله عز وجل أنه في سيره لإنقاذ الناس غالبًا لا يقابله الناس بالترحيب، هذه شخصية عنيدة وهذه شخصية مستهزئة وهذا يفر منه { كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } [المدثر: ٥٠-٥١] كما قال الله عز وجل في آخر السورة.

### ثلاث أصناف من الناس تجاه الدعوة

فهناك ثلاث أصناف من الناس تجاه الدعوة، منهم العنيد الذي يفكر كثيرًا ثم يعرض، ومنهم الساخر، ومنهم المعرض ابتداءً الذي لا يسمعك ويخاف منك.

في هذا السير يعلمنا الله عز وجل كيف نعيد الناس إلى طريق رهم، أول الأمر بإقامة الصلاة... ما قيمة دين الإنسان وما قيمة حياته بدون إقامته للصلاة؟! بدون وقوفه بين يدي الملك؟! بدون كثرة دعائه بطلب الهداية من الله عز وجل؟!!

فالذي يضلّه الله عز وجل - ونعوذ بالله من ذلك - لن تجد له وليًا مرشدًا، فينبغي على الإنسان أن يقطع حياته على الأقل خمس مرات ليقف بين يدي الله يطلب منه الهداية، أن يقطع نومه وأن يقطع عمله وأن يقطع انشغاله - إذا كان في طاقته ذلك - وأن يقف بين يدي الملك ويطلب الهداية، وأن يكرر هذا الطلب ويتذكر النعمة أنما كانت خمسين صلاة فحفظها الله عز وجل وجعلها خمس صلوات.

### طريق رقة القلب والفوز

ويعلمنا الله عز وجل أن رقة القلب، والبعد عن العند مع آيات الله يكون برقة القلب على المساكين وبإطعامهم وأن الذي ابتعد عن الصلاة وابتعد عن إطعام المساكين قسا قلبه فخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين... انظر... في بداية الأمر لم يكذبوا بيوم الدين ولكنها دركات... سقط فيها الإنسان - والعياذ بالله - الذي ابتعد عن طريق الله، فلا يأمن الإنسان على نفسه من الكفر، لا يأمن الإنسان على نفسه من الكفر، فهي دركات والعياذ بالله.

### طريق المراوغة وعاقبته

ثم يذكر الله عز وجل محاولة المراوغة لهؤلاء الذين دخلوا سقر كما كانوا يراوغون في الدنيا، يبحثون عن شفعاء معتقدين أن الأمر في الآخرة سيسير كما كان يسير في الدنيا بالوساطة والشفاعة، فيقول الله عز وجل: **{ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } [المدثر: ٤٨]** لقد انتهى الأمر!

ثم يقول الله عز وجل ولماذا عرضتم عن التذكرة؟ **{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ } [المدثر: ٤٩]**؟! إما تعجب لماذا ابتعدتم عن المواعظ؟ أو ما الذي حصلتموه ببعدهم عن طريق الله؟! **{ فَمَا لَهُمْ }**؟ أي شيء حصلتموه ببعدهم عن التذكرة؟!

**{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ }** مشهد مضحك مُبْكٍ لذلك العاصي الذي ابتعد عن الواعظ، وكأن هذا الواعظ أسد يريد أن يفترسه، أو قناص يريد أن يقتله!

**{ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }**، يشبه الله عز وجل الذي يبتعد عن آيات الملك سبحانه وتعالى التي تُتلى، وعن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعن مجالس الوعظ، لا يريد أن يسمع، شبهه الله عز وجل بالحمار... بالحمار الذي لا يستعمل عقله، فاستحق هذا العقل أن يشوى في جهنم وأن يدخل سقر والعياذ بالله وأن يذوب في جهنم والعياذ بالله.. كالحمار الذي يفر، كأنهم حمر مستنفرة،

فالحمار لا يعلم مصلحته، قد يريد الإنسان به خيراً فيفر منه، فيقول الله عز وجل **{ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }** قيل القناص أو الصائد الذي يريد أن يصطاد، أو الأسد، أو أصوات الناس كما ورد عن بعض السلف (رَكُزُ النَّاسِ) أصوات الناس ولو الخافت منها أي أصوات الدعاة إلى الله، لا يريد أن يسمع شيئاً ولو صوتاً خافتاً، لا يريد أن يسمع **{ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }**

فيقول الله عز وجل **{ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ... }** [المدثر: ٥٢] يريد أن يُسلم بشرط **{ ...أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً }** [المدثر: ٥٢] ، يقول الله: يا رب أنا أسلم بشرط أن تنزل لي صحيفة من السماء باسمي، تنزل لي صحيفة من السماء باسمي تدعوني، فيقول الله عز وجل **{ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ }** [المدثر: ٥٣] المشكلة كلها أنه لا يفكر في الآخرة، حل هذه المشكلة فقط أن يهتم الإنسان بالدار الآخرة، أن يعلم أن جهنم: ((إحدى الكبر))، القضية الكبيرة في حياة الناس. **{ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ }** يُعَلِّمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الدعاة إليه أن أهم قضية ينبغي أن تُكثَّرَ على الناس هي ((الدار الآخرة))، لا يمل المؤمنون من تكرارها على مسامعهم وعلى مسامع الناس... **{ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ }** هذا هو الإشكال الأساسي في القلب، الذي جعل الناس تصل إلى مرتبة البعد عن الصلاة، والبعد عن إطعام المسكين، والعند والسخرية، والخوض مع الخائضين... أنه لا يفكر في جهنم **{ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ }**

### لا يملك الدعاة إلا التذكرة

ثم يقول الله عز وجل في ختام السورة **{ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ }** [المدثر: ٥٤] الأمر كله تذكرة، لا يملك الدعاة إلا التذكرة، لا يستطيعون أن يجبروا أحداً على الدخول في دين الله **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... }** [البقرة: ٢٥٦] فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها الله كيف يشاء. فكل ما يملكه الإنسان المؤمن هو أن يُذَكَّرَ الناس **{ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ \* وَمَا يُذَكِّرُونَ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ هُوَ... }** [المدثر: ٥٥-٦٥] أي: الملك سبحانه وتعالى **{ ...أَهْلُ التَّقْوَى... }** [المدثر: ٦٥] ما معنى أهل التقوى؟ أي أهل لأن يُتقى من عذابه، أي أن أكثر شيء يجب أن تخاف منه في الدنيا هو عذاب الله.

**{ هو }** أي: وحده سبحانه وتعالى **{ أَهْلُ التَّقْوَى }** أي أن مشاعر الخوف التي بداخل كل إنسان، هذه المشاعر يجب أن يكون أكبر قسط منها للخوف من عذاب الله، هو أهلٌ لذلك، بأي معنى؟ بمعنى أن الذي يخاف من عذاب جهنم بجزء كبير من مشاعره، ليس متشدداً! ولا يعطي المسائل أكبر من



حجمها! هذا أمر طبيعي! هو أهل لأن يُتَّقَى! هي إحدى الكبر! {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى} أي: الله عز وجل أهل لأن يُتَّقَى من عذابه.

أحياناً يقول لك الناس احذر من هذا الشخص! هذا الشخص إن أذاك فلن يتركك! يجب أن تخاف منه، يجب أن تعامله معاملة حذرة.. والله المثل الأعلى؛ فيقول الله عز وجل لك يجب أن تخاف من عذاب جهنم أكثر من أي شيء {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى}

ولكن أيضاً هو {... وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر: ٥٦] إذا ابتعدت قدر ما استطعت عن عذابه وابتعدت عن الحرام، وكلما سقطت قمت وتبت وندمت على معصيتك فهو أهل المغفرة. الملك سبحانه وتعالى كما أنه جعل جهنم موطناً لعذابه؛ أيضاً الملك سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان ضعيف وقد يسقط، فهو أهل المغفرة، فهو يغفر للعاصي، للذي وقع وقام وندم وتاب وسار واستمر في سيره إلى الله عز وجل.

أَسْأَلُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلِّ أَنْ يَسْتَعْمَلَنَا وَلَا يَسْتَبْدِلَنَا،

اللَّهُمَّ اسْتَعْمَلْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا،

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنْ اهْتَدَى،

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ ذَكَارِينَ، لَكَ شَكَارِينَ، إِلَيْكَ أَوَاهِينَ، مَنِيْبِينَ، مَطْوَاعِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسَلْ حَوْبَتَنَا، اللَّهُمَّ اسْتَعْمَلْنَا وَلَا تَسْتَبْدِلْنَا،

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنْ اهْتَدَى،

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِفَعْلِ كُلِّ مَا تَحِبُّ وَتَرْضَى، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا،

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا،

اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ،

اللَّهُمَّ قِنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَسَنَ الْخَاتِمَةِ،

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشُّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضْرَةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ،

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.